Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في العقل والثقة والحرية واحترام الآخر، فهذه القيم -كما تقول راوية -((تعلو على الشرائع والأديان، فالمفاهيم متجذرة في أعماق الناس قبل الأديان التي جاء بها الأنبياء من البشر)) -(الرواية ١٥١).

إن (راوية) تتناقض مع أبيها في ردّته، وتخالف أخاها الضابط الذي راح ينكل بها، ويضطهدها، ويمنعها من السباحة في البحر، ويسعى لقهرها وإهانتها، حتى أنه أطلق الرصاص عليها في البيت، ولم يصبها. وهي تجسّد التمرد الحقيقي، والجرأة في القول والفعل، والثبات على المبدأ والمعتقد... وهي من هذه الزاوية تشبه، إلى حد بعيد، شخصية (مهيار الباهلي) في رواية الكاتب (حيدر حيدر) ((وليمة لأعشاب البحر))، فمهيار الباهلي رغم كل تعقيدات الغربة والهزائم والإحباطات ظل يبني آمالاً زاهرة على المستقبل. وهو يشبه (راوية) لأنه نابت من جذور دينية، فهو سليل الباهليين القدامى والحسين بن علي (وليمة لأعشاب البحر ص٢١). وكذلك كانت (راوية) سليلة أسرة النبهان المتدينة والوجيهة في منطقتها.

وكما حافظ (مهيار الباهلي) على نقائه رغم أفكار التشاؤم، حافظت (راوية) على اتجاه بوصلتها رغم ارتداد أبيها وقمع أخيها. ولم يكن من قريب لنفس (راوية) في أسرتها، سوى جدّتها التي كانت تسّمى في بيت (سعيد النبهان) ((ميزان العدالة)). وهي التي كانت تقف إلى جانب الفلاحين وتشبههم بخلايا النحل التي تصنع العسل والشهد.

وإذا كانت (راوية) تمثل الشخصية المحورية الأولى في (شموس الغجر)، فإنّ الشخصية الثانية فيها هي شخصية (ماجد زهوان). وهو زميل (راوية) في جامعة (قبرص) أولاً، وحبيبها فيما بعد. وقد بدت وشائج قوية بين فكرَيْ هاتين الشخصيتين وتكوّنهما. فكما كانت (راوية) مسكونة بأفكار التحرر والثورة والعدالة، كان (ماجد زهوان) مسكوناً بالهم الفلسطيني الذي لاخلاص منه، إلا باعتناق أفكار التحرر والثورة والعدالة. وقد قُدّم (زهوان) في الرواية طفلاً يتيماً هارباً من بيت أبيه، شارداً بلا دليل، ثم صُوّر محارباً للظلم الواقع عليه أولاً، وعلى شعبه ثانياً. وهاهو ذا يتساءل مخاطباً (راوية):

((جيلنا هذا السائر على حد السكين هو الضحية أم الأمل القادم؟)) ثم يضيف: ((أنت وأنا ياراوية نيزكَيْن اصطدما في فضاء معتم)). وعندما تسأله: أما منْ أمل يتراءى لك؟ يجيبها: ((بلى، الدماء وحدها هي التي تضيء)) -(الرواية ١٤٧). وهذه العبارة الأخيرة تذكر بما سبق أن قرأنا على لسان بطل